المظاهر الدينية في المعمار التاريخي لمنطقة دبدو

ياسين اضريغ
طالب بسلك الدكتوراه
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
المغرب

ملخص

هدف البحث هو تسليط الضوء على منطقة لم يولوها الباحثين اهتماما والنبش في الوثائق التاريخية المرتبطة بتاريخ المنطقة وتتجلى أهمية البحث من الناحية العلمية في جمع دراسات علمية أكاديمية فحواها تاريخ وآثار مدينة دبدو، ورغبة مني في تناول إحدى المواضيع التاريخية موضوعيا بموضوع يتعلق بعمران المنطقة ومحيطها مما لا شك فيه أن التطور والتقدم مرتبط بما خلفه العنصر البشري ولذلك يجب الأخذ بالحسبان بدور هذا الأخير في هذا المجال وتماشيا مع ما تم ذكره هذا ما يتضح من خلال ما خلفته الدول التي تعاقبت على حكم المغرب والسلاطين الذين تربعوا على عرشه في فترات متباينة من التاريخ، وفي نفس الصدد يتجلى ذلك من خلال القصبات التي شيدها المولى إسماعيل والمتمثلة في 76 قصبة منتشرة عبر التراب الوطني منها قصبات اندثرت بعض أجزاءها وأسوارها ولا زال بعضها الآخر قائما، يقاوم عوامل الطبيعة والنسيان والإهمال. والجذير بالذكر أن الصورة التاريخية لهاته القصبات لا يمكن أن تكتمل إلا بالبحث المونوغرافي والتخصص في جزئيات القصبات ولا سيما قصبة دبدو التي تعتبر أنموذجا حيا بشرق المغرب ونافلة القول أن قصبة دبدو كانت قريبة من مراكز الحكم وإدارة السلطة المركزية (فاس) ويتجلى ذلك في عناصر المعالم التاريخية الأساسية التي خلفتها الدولة المرينية بالمنطقة التي تعد واحدة من أشهر المدن التاريخية بشرق المغرب فهي تتسم بعراقة حضارتها وغنى تاريخها. كما سنعزز هذا المقال بخرائط متعلقة بالمنطقة وصور فوتوغرافية حولها.

Abstract

There is no doubt that evolution and progression are closely linked to what has been created by humankind. Therefore, its role in this field needs to be given greater importance. This is evident from the results brought about by the dynasties that ruled the country in different eras. For example, Moulay Ismail built 76 castles spread across the country. Some of these castles have turned into dust, others have been partially ruined, while a few are still standing, resisting natural factors and negligence.

It is worth mentioning that the historical picture of these castles cannot be complete without monographic research and a thorough examination of their details, especially Debdou Kasbah. Moreover, the aforementioned castle is considered a living example in eastern Morocco. In summary, Debdou Kasbah was situated near the central administration in Fez. The remnants of the Marinid state in the area, one of the most prominent and historic cities in eastern Morocco,serve as living proof.

مقدمة

تحفل مدينة دبدو بالعديد من القضايا والاشكالات التاريخية إذ تشكل قصبتها مادة دسمة تستحق البحث والتقصي نظرا لجوانبها التاريخية والاجتماعية والسياسية ...منطقة تعتبر شاهدا حيا على ماضيها المجيد والبطولي منطقة كانت استراتيجية تجارية في عصرها الذهبي، ومركزا يهوديا استقطب السكان القادمين من الأندلس وصقلية، وشكلت منطقة دبدو بذلك أنموذجا لمبدأ التعايش السلمي بين الأقلية اليهودية والمسلمين، ولا ننسى مساهمة المجتمع المدني والغيورين على طرق صون تراث المنطقة وتثمينها كتراث وطني وانساني ساهم في تحقيق التنمية المستدامة بهدف تحسين نوعية إطار الساكنة، وتعزيز التدبير المستدام للغطاء الغابوي للمنطقة وتشجيع الأنشطة المشجعة له من خلال الاستغلال المعقلن لهذا المجال.

إن المهتم بتاريخ المغرب ولا سيما السياسة العمرانية كانت ذات طابع عسكري فرضته فترة كل دولة تعاقبت على حكم المغرب ويظهر ذلك جليا مع المرابطون والموحدون الذين اهتموا ببناء الحصون والقصبات تحسبا لأي هجوم خارجي، وعلى نفس المنوال سار السعديون والعلويون، فحسب الدكتور إبراهيم حركات أن كل المدن والقرى الرئيسية التي شيدها السعديون تتموقع بمنطقة سوس وقد بنيت لعوامل دفاعية أو سياسية لوقوعها في المناطق التي يوجد بها أهم أنصار الدولة السعدية.

وقد نالت السياسة العمرانية في عهد الدولة العلوية حيزا مهما لضمان أمن واستقرار البلاد وردع مختلف الأطماع الخارجية إذ تذكر المصادر أن المولى إسماعيل شيد 76 قصبة بجميع تراب المغرب، وقد اعتبرت قصبات شرق المغرب ركيزة أساسية لمواجهة أي تسرب خارجي لا سيما الإمبراطورية العثمانية.

وبحكم المشترك الجغرافي والتاريخي بين دبدو ومنطقة ارشيدة (أولاد سيدي يعقوب) ناهيك عن التضاريس المشابهة بجبالها وسهولها بحيث تقع في كتلة جبلية واحدة ممتدة غرب غابة الكعدة حتى سهول تافراطة، كما يتحكم في مدينة دبدو مجموعة من المعطيات الطبيعية أولها موقعها بين السلاسل الجبلية.

ويجمع بين المنطقتين تراث ثقافي عربي وأمازيغي غني يحتفظ بنمط حياة واحدة ويظهر ذلك جليا في المناسبات الدينية والاجتماعية من احتفالات في الأفراح وغيرها ...

والجدير بالذكر أن المنطقتين لهما نسق معماري واحد مستوحى من الجنوب الشرقي-تكمن أهميته في ربط الأجيال الماضية بالحاضر والمستقبل من خلال تعميق الوعي في فهم التاريخ والثقافات وتعزيز هوية الشعور بالانتماء الى منطقة دبدو وارشيدة وتشجيع السياحة الداخلية عبر تسويق منتجات الجبل كالحلفاء وإكليل الجبل ونباتات أخرى ...في أفق النهوض بالتنمية المحلية.

ملامح من المعطيات الطبيعية والتاريخية لدبدو

خريطة المغرب/ عمالة تاوريرت / باشوية دبدو بجهة الشرق

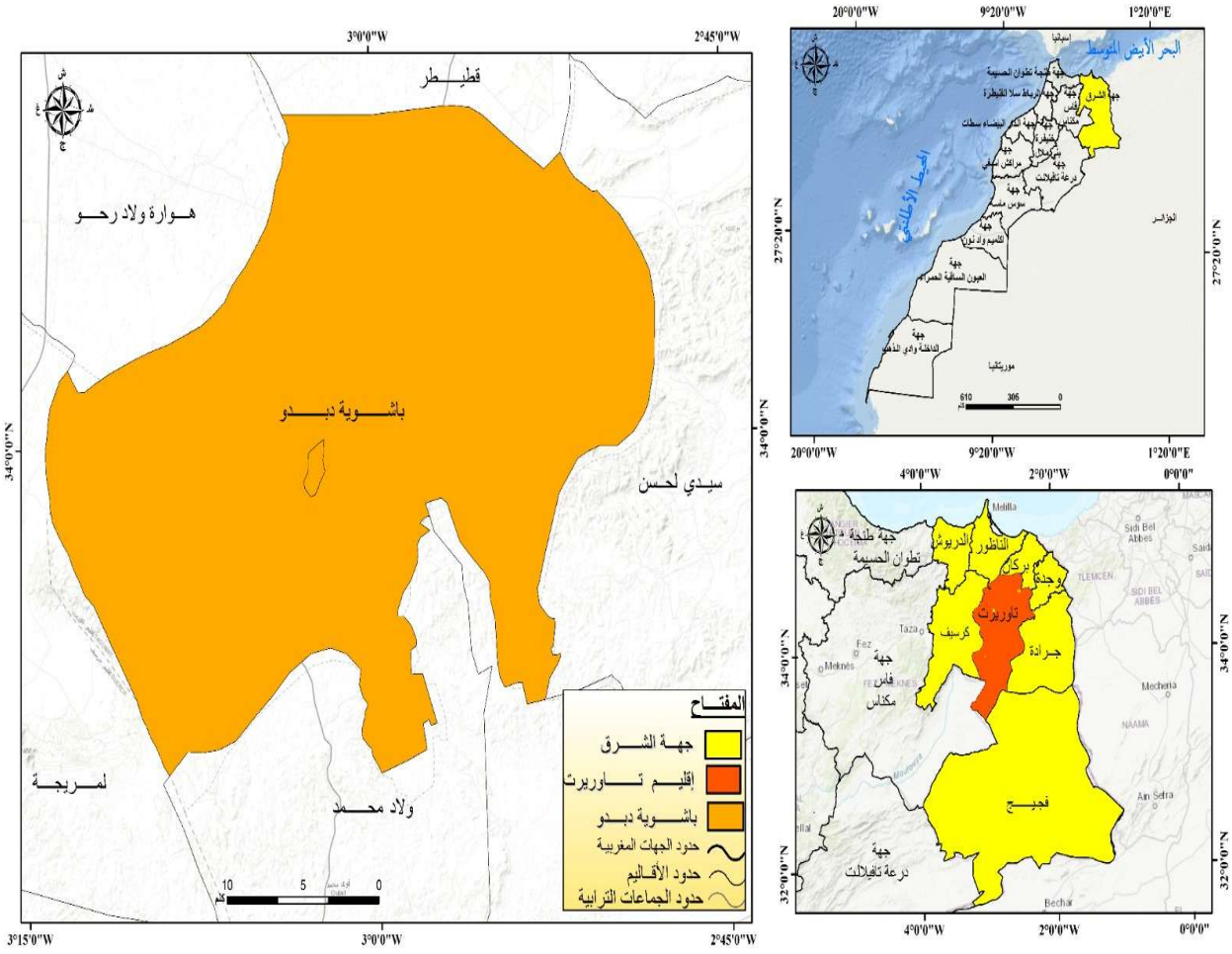

تقع باشوية دبدو داخل المربع الذي تحدده العلامات على الخريطة بين خط طول تقريبًا 3°15′ و2°45′ درجة (غرب خط غرينتش)، وبين خط عرض تقريبًا 33°05′ و33°25′ درجة (شمال خط الاستواء).

المعطيات الطبيعية

دبدو مدينة صغيرة تقع شرق المغرب على بعد 160 كلم جنوب مدينة وجدة وعلى بعد 52 كلم جنوب مدينة تاوريرت، وتعتبر حتى الآن هي الوحيدة وهي إحدى الباشويات الثلاث التي تشكل إقليم تاوريرت وتضم أربع جماعات قروية (سيدي لحسن والعطف وأولاد محمد وسيدي علي بلقاسم) إضافة الى الجماعة الحضرية لدبدو .[1] المصنفة ضمن التراث العالمي كمعلمة تاريخية بإقليم تاوريرت جسب المرسوم الوزيري الصادر يوم 12 ماي 1954.

[1] معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، جامعة ابن زهر، مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، 5 يناير 2011، مطابع سلا 1421ـــ 2000، ج 12، ص 3967

صورة جانبية للقصبة التقطت يوم 14 نونبر 2025

توجد مدينة دبدو في موقع استراتيجي هام جعلها مركزا تجاريا هاما تربط بين الشرق والغرب، ونقطة وصل بين سهل تاوريرت والنجود العليا، وعلى سفح جبل عال ومنيع تنساب منه أنهار تخترق مدينة دبدو وتقع على مسافة 12 كلم تقريبا من السهل. يسود بالمنطقة مناخ ذو طابع شبه صحراوي متطرف الحرارة والبرودة بين فصلي الصيف والشتاء غير أن وجود مرتفعات النجود العليا يساهم في تساقط أمطار مهمة نسبيا في فصل الشتاء يصل معدلها-نسبيا إلى 395 ملمتر كمتوسط سنوي. وتتوفر المنطقة على عدة منخفضات بالجبل منها ما يؤدي الى منطقة الظهرة وغابة الكعدة وقبائل بني ريص وقبيلة علوانة. وتضم كذلك قيادتين (الكعدة والزوى) تشمل كل منهما جماعتين قرويتين وهما كالتالي: العطف وأولاد محمد ثم سيدي لحسن وسيدي علي بلقاسم ، وتعود أصول سكان دبدو ومحيطها الى قبائل عربية وأخرى أمازيغية معربة.

ويضم مركز دبدو عدة أحياء قديمة تصنف تقليديا إلى:

الكياديد وأولاد يوسف وأولاد عمارة وقبيين إضافة إلى **الملاح**(الحي اليهودي) وحي القصبة (حي يمتد داخل بقايا اسوار الإمارة القديمة) الى جانب الحوش وهو حي حديث ارتبط ظهوره بانتشار التوسع نحو السافلة حول بعض البنايات التي شيدتها الإدارة الفرنسية خلال فترة الحماية وقبالته ينفرد حي المصلى بموضع على الضفة اليسرى في قدم سفح وعر ضيق.[2]

[2] معلمة المغرب، مرجع سابق، ج 12، ص 3968

وعلى المستوى البنيوي تشكل الجزء الأكثر ارتفاعا في الهضاب العليا 1691متر تنتصب شامخة في حافتها الشمالية الغربية المشرفة على سهول تافراطة الممتدة بحوض جرسيف. ويتم التماس بين الهضاب العليا وحوض جرسيف على طول خط واضح يمتد عموما من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي .[3]

تتكون من مجموعتين الأولى تسمى القصبة تقع على سطح هضبة يبلغ ارتفاعها 1100 متر، والثانية تقع أسفل الهضبة تمتد على سهل وتتكون من مجموعة من الأحياء الذي يتوسطهم حي الملاح الذي عرف باستقرار الأقلية اليهودية به والتي شكلت غالبية السكان خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لكن غالبيتهم غادر آخرهم المدينة قبل نهاية القرن العشرين بعد أن تقلص عددهم الى 5 أسر فقط في سنة 1978. لا يمثل سكان بلدية دبدو سوى نسبة 14بالمئة من مجموع سكان الدائرة ، وتركت المدينة بعد رحيلهم إرثا من التاريخ المشترك وذكريات مدفونة في أزقتها ومعالمها التاريخية. [4]

المعطيات التاريخية

لقد أكدت الدراسات أن الإستيطان في مدينة دبدو قديم جدا وهو ما أثبتته التنقيبات الأركيولوجية التي أجريت في بداية القرن العشرين وأكدت على وجود آثار مرور الإنسان الحجري القديم ناهيك عن وجود إنسان العصر النيوليثي، وقد ذكر **النقيب فوانو** VOINOTE**(فوانو)**capitain ما سجله في منطقة كطيطير بين دبدو وتاوريرت بوادي **العبد،** ومنطقة الفريطيسة غرب مدينة دبدو، ومدينة العيون سيدي ملوك التابعة ترابيا لعمالة تاوريرت، فإذا كانت بعض الوثائق التاريخية لا تسمح لنا القول بأن مدينة دبدو ليست مدينة أثرية فإن وادي دبدو الذي اكتشفه **شارل دو فوكو** (1883 ـــــ 1884) والذي كان مركزا لنشاط تجاري قديم ليتضح لنا بأن المنطقة كانت محتلة كذلك من طرف الرومان. حسب التقاليد الشفوية والتي لا زالت متوارثة حتى الآن... [5]

أسس المغاربة مدينة دبدو على منحدر جبل شاهق منيع جدا باستحكاماته الطبيعية، ينساب منه عدد كثير من الجداول المائية التي تخترق مدينة دبدو، ويحيط بهذه الأنهار حدائق مكونة من شجر التين والكروم والتوت البري...وتقع المدينة على بعد خمسة أميال من السهل.

ودبدو كلمة أمازيغية زناتية، ونظرا لغموض معناها لبعد العهد بها، فإن من تطرقوا للحديث عنها أولوا فحواها وخرجوا به عن صحيح المعنى، فنسبوها تارة لليهود لغلبة عددهم فيها على سواهم، وتارة في تأصيلها دون جدوى، وزاد من غموض القصد ورودها في الكتب بغير الرسم المعروف بها اليوم، فكتبت في بعض مؤلفات الأقدمين نسبيا بدوكودو " Dugudu"[6] ودوبودو " Dubudu"[7] دوبدوب " Doubdoub" ودوبدو " Doubdou"، ووردت أيضا باسم مملكة "Doubdou و Dubdu "[8] (De castrie. 1909. pp184-289-290)

---

[3] عبد الرحمان الحرادجي، (أيام 13 ــ 14 ــ 15 مارس 1986)، ملاحظات حول البيئة الجغرافية لكتلة دبدو، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، الوسط الطبيعي ــ التاريخ ــ الثقافة، ص ص29 30

[4] معلمة المغرب، مرجع سابق، ج 12، 3969

[5] Kitab Aâyane al-Marhrib L'Akca: Esquisse générale des Maghrebs de la Génèse à nos jours et Livre des grands du Maroc - Edmond GOUVION -Dar AL AMAN- 2013 P 2

[6] Berbrugger . Adrien, " **Le pégnon d'Alger, ou les origines du Gouvernement turc en Algerie** ", libraire Challamel, Paris, 1860, pp 64- 65-66

[7] De castrie. Henri, "**Dynastie saadienne, les sources inédites de l'histoire du Maroc** " , Tome 2, éd.Ernest. Leroux, Paris, 1909, pp184-289-290

[8] سمير بن الطالب " **تاريخ القصبات في شرق المغرب دراسة تاريخية واجتماعية وعمرانية قصبة دبدو نموذجا**"،(د.ت)، مطبعة أصكوم القنيطرة، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ص 59

شيد بنو مرين مدينة دبدو في عهد السلطان عبد الحق المريني(592 ـــ 614هـــ/ 1196ـــ 1218م) وقسم مجال نفود دولته بين فروع قبيلته الكبرى وآلت المنطقة الى قبيلة تدعى **بني ورتاجن**[9]لصد هجمات بني عبد الواد التلمسانيين الشيء الذي عرضها للاجتياح والتدمير على يد ملك تلمسان سنة 1364 ـــ 1365م وبعد سقوط مملكة فاس حاول الأعراب المستقرين بجوارها انتزاع الإمارة لكن قبائل بني ورتاجن دافعوا عن أنفسهم بمساعدة **موسى بن حمو** الذي نجح في إخماد غارات هؤلاء الأعراب الذين اضطروا إلى عقد معاهدة معه،[10]. وبقي موسى أميرا على المدينة بقية حياته، وخلفه إبنه المسمى أحمد الذي خلف بدوره إبنا سماه إسم محمد. شن هذا الأخير هجمات على تخوم (نوميديا) بسفح الأطلس نحو الجنوب. وقد تحولت مدينة دبدو في عهده إلى مستوى عال من الازدهار والمعاملة الحسنة تجاه الغرباء وأبناء السبيل مما جعل سمعته تتمدد كامتداد نقطة زيت على ورق. [11].

وبعد استقرار ملكه عزم الأمير محمد على التوجه صوب مدينة تازة لانتزاعها من ملك فاس محمد الشيخ السعدي، بعد أن حاك المؤامرة التالية " يذهب الأمير محمد في يوم من أيام السوق الى تازة، متنكرا في زي رجل جبلي، متظاهرا باقتناء بعض الأشياء من السوق. فينقض المتآمرون حينئذ على قائد تازة ويسهل الأمر لأن السكان سيساعدونهم " لكن سرعان ما باءت كل محاولاتهم بالفشل وانقلبت موازين القوى لصالح ملك فاس بحيث زحف نحو دبدو لاحتلالها رفقة جنده ... وانقض جيوش الأمير محمد على جنود الملك ... وأخدوا يسقطون من أعلى الصخور فدقت أعناق أكثر من ألف رجل ...[12]

تتسم مدينة دبدو بتنوعها العرقي والإثني وتتعدد مكونات نسيجها العمراني والبشري والثقافي ...

كما شكل موقعها الاستراتيجي حلقة وصل بين فاس والمغرب الأوسط ناهيك عن دورها في حماية الحدود الشرقية لمدينة فاس لا سيما إبان مرحلة الصراع بين بني عبد الواد وبني مرين مما جعل منها وجهة لمختلف المكونات العرقية والإثنية من أمازيغ وعرب ويهود .

وبعد سقوط غرناطة صارت مدينة دبدو مدينة الحاخامات، وسميت كذلك اشبيلية المغرب في الدراسات والمؤلفات اليهودية منها " دبدو اشبيلية جديدة في شمال افريقيا" و" دبدو مدينة الكوهانيم (المنحدرين من القدس بفلسطين) " و" دبدو القدس الصغيرة" ، إذ نزلها بعض اللاجئين من الاندلس بعد سقوط غرناطة 1492م كما ورد في الكتابات اليهودية والفرنسية وتجدر الإشارة الى أن العائلات ذات الأصل الأندلسي التي كانت تسكن المغرب أو سكنته قبل تهجير 1492م، كانت تعد عائلات بلدية، عكس يهود الأندلس والبرتغال بعد هذا التاريخ (مثل عائلات بن دنان، بن ريموخ كجين إلخ...) [13]

وخلال مرحلة الحماية الفرنسية شهدت المنطقة زحف عسكري عنيف برزت فيه قبيلتا علوانة(15 ماي 1911) بجبل حنون المتواجد بأعالي قصر علوانة وبني ريس(23 ماي 1911) حيث كبدته خسائر فادحة وقتل أكثر من 30جندا فرنسيا من جنسيات مختلفة، وجرح 7 منهم تم نقلهم الى المستشفى العسكري بمستكمار نواحي مدينة العيون الشرقية.[14]

---

[9] قبيلة زناتية أمازيغية، من قبائل زناتة الكبرى نسبة الى " ورتّاج" جد القبيلة المذكورفي نسب قبائل زناتة تم ذكرها في بعض كتب الانساب والتاريخ

[10] معلمة المغرب، مرجع سابق، ج 12، 3967

[11] الحسن الوزان،(1983)، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983، بيروت، ج الأول، ص 351 بتصرف

[12] الحسن الوزان، مرجع سابق، ص ص 351 352

[13] حاييم الزعفراني، (1987)، **ألف سنة من حياة اليهود**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء ، ص 12

[14] إسماعيل الصادقي، الدينامية الفلاحية بإقليم تاوريرت وانعكاساتها على البيئة والتنمية المحلية" حالة جماعة سيدي علي بلقاسم"، بحث لنيل شهادة الماسترفي الجغرافيا، تخصص الجيوماتية وتدبير التراب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، ص 41

صورة لبعض الجرحى بمعركة علوانة

أهمية العمارة الإسلامية

تشكل العمارة انعكاس للحضارة الإنسانية عامة بحيث تتخللها هوية الأمة وتاريخها إن العمارة مظهر من مظاهر الحضارة الإنسانية عامة، واختلافها يعكس اختلاف الإسهامات الحضارية العامة فالعمارة تسعى لتحقيق الحاجات الرمزية والجمالية للإنسان الشيء الذي يدفع الى الإبداع، كما تعبر عن التطور التاريخي للسلطة وللمجتمعة والدولة بشكل عام ، يؤكد الأستاذ تيتوس بوركهارت (T Burckhardt.) على وحدة الفن الإسلامي، وارتباط الأشكال والمنشآت والمعالم الفنية الإسلامية بمعاني روحية تتصل بالإرث الباطني للاسلام[15] ، ومن ثم فإن مفهوم العمارة الإسلامية بشكل عام والزخرفة المعمارية بشكل خاص يختلف جوهريا عن المفهوم الغربي...

إن انتشار الزخرفة في الفن الإسلامي دليل على ميل الشعوب الإسلامية الى التمتع بالملذات والخوف من الفراغ، لأنهم لم يفهموا الوظيفة الفريدة للزخرفة في الابداع الجمالي الإسلامي[16] ، فالعمارة الإسلامية فن قبل أن تكون ممارسة مرتبطة بالمباني المرتبطة بالحضارة الإسلامية والمعروفة بالقباب والأقواس والمآذن والنحت على الخشب الشيء الذي يوفر نوعا من العبادة والتأمل ناهيك عن تصدي هذه البنايات للعوامل الطبيعية. كما تشكل العمارة الإسلامية دليلا على هوية وتاريخ الأمة، وتجسيدا لقيمها الدينية والثقافية يضاف الى ذلك فهي تمثل جسرا بين الماضي والحاضر، مع التأكيد على دورها في تعزيز الوعي بالتراث المعماري ومن أبرز معالم الحضارة الإسلامية نجد الحضارة الإسلامية بمدينة دبدو التي تحتضن تراثا معماريا ضخما يتجسد في القصبة المرينية باعتبارها شاهدا حقيقيا لما وصل إليه الفن المعماري غداة عهد الدولة المرينية، إن الغاية من كتابة هذا المقال هي إغناء القارئ والمهتمين بدراسة المنطقة بمعطيات تاريخية حول أبرز مظاهر الفن المعماري ولا سيما ذات الطابع الديني مثل المسجد المريني، القبة، المأذنة، والمحراب...شكلت هذه جزءا من هوية وثقافة الشعوب الإسلامية واتسمت بمكونات معمارية أصيلة مستمدة من الحضارة العربية الإسلامية، ومن جانب آخر سنعمل من خلال هذه المداخلة على إثارة انتباه الفاعلين الجمعويين والمسؤولين وكذا المجتمع المدني الى النهوض بالتنمية المحلية والمستدامة للقصبة وترميم الأسوار والأبراج المتبقية للقصبة مع احترام النسق المعماري والمواد الأصلية المشيدة بها هذه البنايات مع العمل على تأهيل البنايات الآيلة للسقوط أولا ورد الاعتبار لهويتها كما سنعزز المقال ببعض الصور[17] إلى جانب بعض الخرائط التي توطن الجهة الحاضنة للمنطقة وتموقعها على

[15] Papadopoulo, « Sur l'esthétique de l'art musulman » in Proceeddings of the international symposium held in Istanbul, April 1983, Damascus, Dar-el-Fikr, 1989, p. 180

[16] عبد العزيز كامل،(1993)، **أطلس الفنون الزخرفية الإسلامية**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ص 539

[17] الذي إلتقطها أستاذنا الفاضل عبد العزيز بلبكري يوم الأحد 17 غشت 2025

خريطة المغرب، وما عايناه مباشرة في الميدان. كون أن الدراسات التي تناولت المنطقة لا تمدنا بالمعلومات الكافية حول مدينة دبدو من الجانب المعماري على الأقل في حدود ما توصلنا إليه حتى الآن.

جوانب من العمارة المرينية لقصبة دبدو

سنتطرق في هذا المضمار عن الجانب المعماري والعمراني للقصبة بشكل عام والعمارة الدينية على وجه التحديد وما شهدته هذه الأخيرة من قلاقل وحروب بين المرينيين وبني عبد الواد حكام المغرب الأوسط،

وقد اتسمت القصبة رغم كل ذلك بشموخها وبنيتها المتينة والتصدي للظواهر الطبيعية منذ قرون مضت، صحيح أن جل قصبات جهة الشرق تترابط فيما بينها ارتباطا وثيقا وكرونولوجيا عبر التاريخ، لكن تبقى القصبة المرينية بمنطقة دبدو بخصوصية ومعطيات استثنائية لكونها تحتفظ بمجموعة من المرافق والمعالم المعمارية التابعة لها مما تتفرد به مثل أبراج وأسوار وأبواب، وسجن وحمام وكهوف...

تتشكل القصبة من ثمانية أبراج رغم أنه لم يتبق منها سوى ستة باتت أصلا آيلة للسقوط جراء عوامل التعرية، وهي تنتظر من يرممها ويحميها من الإندثار.

3ـــ 1 البرج: يقصد بالبرج ذلك البناء العال والمحصن الذي يشيد لأغراض عسكرية ودفاعية محكمة، كونه يبنى على الأسوار والقلاع والمدن لتوفير مراقبة تحركات العدو ويزود بالجنود والسلاح. وتجدر الإشارة هنا في رصد تحركات أبناء عمومة المرينيين (بنو عبد الواد)، والصراعات الدائمة بين القبائل المجاورة على استغلال مياه عين تافرنت مما يبين أهمية المورد المائي والصراعات المتطاحنة حول هذه المادة الحيوية. إن بعض مداخلات هذه الندوة كان موضوعها الصراع القبلي على مياه عيون ومجاري عالية وسافلة جبل دبدو...

(أحد الأبراج المرينية بمدينة دبدو ألتقطت يوم 18 غشت 2025)

هذا، وشكلت الأبراج في العهد المريني باعتبارها مراكز للمراقبة، وهي جزء من نظام الدفاع عن القصبات أو المدن وكان للقصبة المرينية ثمانية أبراج شيدت في أماكن استراتيجية تضم رجالا مهمتهم المراقبة واستطلاع بغثات العدو كما كانت تساعد على الاستنفار السريع للجيش عند رؤية الخصم مما يسمح بالدفاع الفعال ضد الهجمات، وقد آخرها للسقوط و لم يتبقى منها سوى برجان أو ثلاثة وهي كالآتي (برج الحبس ـــــ برج المقبرة ـــــ برج الشافة ـــــ برج بركون ـــــ برج أرفيفة).

3ـــ 2 السور :

شيدت القصبة على هضبة يبلغ ارتفاعها 1100 متر، داخل سور مربع غير متساوي الأضلاع يبلغ ارتفاعه 8 أمتار، بني بتراب الخندق الذي تشرف عليه القصبة غربا، عرضه عشرة أمتار، وهو في موقع استراتيجي لصد الهجمات الزيانية آنذاك، والملاحظ ويشير الرواية الشفوية والدليل المادي أنه شيد بمهر فاطمة بنت عبد الحق المريني التي مولت بناءه حسب كتابات وجدت على باب تافرنت الغربية وقد تكون هذه الرواية عارية من الصحة لغياب ذكرها في أي من المصادر ، كما توضح الصورة أسفله [18](بن خلدون، د.ت، ص 546).

3ـــ 3 الباب:

يعتبر الباب عنصرا رئيسيا في كل عمارة عامة، وهو ذو وظيفة دفاعية في أي بناية تتجلى في حماية القلاع والمدن من الهجمات الخارجية إذ كانت تشيد بشكل متين ومحصن، وتزود ببوابات حديدية وأبراج مراقبة للكشف عن أي خطر مفاجئ فضلا عن التحكم في الدخول، الذي هو دوره الطبيعي، والخروج من المدن، وهي تعتبر من ناحية أخرى رمزا للقوة والسلطة، ولعل ما يظهر قوة الدولة المرينية بإمارة دبدو بباب تافرنت[19]وهي الباب الأولى المطلة على الجبل من الجهة الغربية وباب تتزلفت من الواجهة الشرقية (نسبة للشلال المحادي للخندق).

[18] عبد الرحمان بن خلدون ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، بيروت، الجزء 7، ص546

[19] هي مصدر مياه جوفية مهم، في مدينة دبدو التاريخية، هذه العين كانت تزود مدينة دبدو بالمياة لكنها نضبت في السنوات الأخيرة لأسباب مناخية منها قلة تساقط الثلوج والجفاف، شهدت بعض الترميمات مؤخرا حيث تم حفر بئر وإقامة فنادق سياحية لجذب السياح بالإضافة الى تسييجها وتحديد أحد أبوابها

صورة لباب تافرنت بعد الترميم، التقطت يوم 19 نونبر 2019

3ـــ 4 المسجد المريني

يعتبر المسجد ركيزة أساسية في المدينة الإسلامية فهو يلعب دورا عظيما في الإسلام ويساهم في ترسيخ العقيدة الإسلامية في القلوب وتقوية روح الايمان لدى المسلمين ويشكل في المدينة الإسلامية أهم عمارة دينية و مكانا لتربية المسلمين تقام فيه الصلاة وتنظم فيه أمور الدولة الفتية . ويربى فيه الفرد على مبدأ أساسي وهو احترام الآخر [20]، كونه يساعد على تطهير القلب والشعور بالطمأنينة الروحية والسكينة والحقيقة أن المساجد رمز يجسد تاريخ الأمم والشعوب في الماضي [21].

شيد بنو مرين الكثير من المساجد بمختلف مدن المغرب كما تشير الى ذلك مختلف المصادر التاريخية سنة 674ه/1276م من طرف السلطان المريني أبو يوسف يعقوب، وبشكل خاص بمدينة فاس العاصمة، كالجامع الكبير وجامع الزهر ومسجد الشرابليين الى غير ذلك ... غير أن كل تلك المساجد اندثرت وادخلت عليها ترميمات جوهرية أفقدتها خصائصها الأصلية[22] ، لذا سنقتصر على دراسة العمارة الدينية بمنطقة دبدو لا سيما المسجد العتيق الذي يصعب علينا قليلا تتبع مسار تطوره، لكن وبناء على بعض الروايات الشفوية نستطيع أن نشير الى نسبه الى بني مرين إضافة الى بعض المساجد المرينية بمدينة فاس، ونضيف أن هذا المسجد الذي شيد في هذه المرحلة لم يعرف التوسع نظرا لضيق وتواضع المساحة المخصصة للقصبة إجمالا، ما عدا بعض الترميمات البسيطة الذي أدخلت عليه من طرف ساكنة الحي.[23]

فالمسجد كان له دور في تأطير السكان دينيا وأخلاقيا وثقافيا. وإذا كان المسجد قد شكل نقطة محورية تنطلق منه أزقة المدينة وتحيط به المساكن والمرافق المكونة للحاضرة الإسلامية فإن مسجد قصبة دبدو على خلاف ذلك حيث بني في جهة مستقلة عن باقي البناء لكن

---

[20] الشيخ سعادة، (1991) " **فجر العمران الإسلامي ببلاد المغرب**" ، مجلة كلية الآداب وجدة، عدد 2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، ص 40

[21] **الآثار والفنون الإسلامية**، عبد الله عطية عبد الحافظ القاهرة 200، صص 85 69 بتصرف

[22] نفسه ، ص 69 بتصرف

[23] سمير بن الطالب، " **تاريخ القصبات في شرق المغرب دراسة تاريخية واجتماعية وعمرانية قصبة دبدو نموذجا**" مرجع سابق، ص 139

طبعا داخل السور التاريخي. إن المسجد المريني بقصبة دبدو غالبا ما كان في الماضي هو المركز الديني والروحي في القصبة، وبجوانبه كان، ومازال، ما يعرف عند العامة والخاصة باسم " الديوان" أو " جنان المخزن"

لعب المسجد دورا مهما في الجانب الديني لدى الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، نفس الأمر عند المرينيين، فالمسجد العتيق بقصبة دبدو كان ذا إشعاع ديني على مستوى الشرق عموما، ويشكل جزء من التراث المعماري للمنطقة، ومعلمة تعكس فن العمارة الدينية غداة العهد المريني ويجسد التطور المعماري في الفترة المدروسة، تعود فترة تأسيسه الى فترة ازدهار الدولة المرينية، لما كانت دبدو موطنا لقبيلة بني ورتاجن وهي سلالة من المرينيين تتمركز قريبا من الواجهة الشرقية للقصبة، شيد بالتراب المدكوك بالركز على التراب حتى يصير مدكوكا يتخذ شكلا مستطيلا وصومعة ذات نفس الشكل بها نوافذ مقوسة، ذات أشكال هندسية شبه مثلثة (على شكل أسنان)، ومعروف أن طريقة البناء هاته تنتشر بالأساس بالجنوب الشرقي ويتكون من:[24].

3ـــ 5 بيت للصلاة : يسمى جوف المسجد متوسط الحجم تتوسطه 15 دعائم و أعمدة (سارية) تزينها عقود تتخذ شكل نصف دائري، بالإضافة الى ست بلاطات عمودية في اتجاه القبلة، وأربع بلاطات موازية لجدار القبلة و لا أثر فيه للزخرفة، والجذير بالذكر أن مسجد القصبة مغطى كله، إذ لا صحن فيه وهذا راجع الى أن إنكماش الصحون كان مرتبطا بالمناخ وأحوال الطقس.[25]

3ـــ 6 محراب المسجد: يتخذ شكل نصف دائري من الأعلى على شكل قوس وهو تجويف في جدار المسجد يشير الى اتجاه القبلة وهو موضع الإمام للصلاة والحديث، وقيل إنه مأخود من المحاربة لأن المصلي يحارب كلا من الشياطين ونفسه بإحضار قلبه وجوارحه للصلاة، وقد يطلق أيضا على الغرفة مصداقا لقوله تعالى، **فخرج على قومه من المحراب** أي من المسجد الى الغرفة[26].

3ـــ 7 منبر القصبة : منبر خشبي صغير مكون من أدراج صغيرة، كان يستخدم للإمامة في الصلاة ولإلقاء الخطب والمواعظ وقد وضع له على يمين المحراب بيت يدخل فيه الخطيب.

3ـــ 8 الصومعة : الصومعة في العهد المريني كانت لها أهمية كبيرة وهي جزء من المساجد حيث كانت تستخدم للدعوة الى الصلاة ورمزا للوجود الإسلامي في المنطقة، وهنا لا نستطيع الحديث عن صومعة دبدو ومرد ذلك لقلة المصادر التاريخية ولاندثار شكلها الأصلي بسبب تأثير الطبيعة وعدم العناية بها، فمن خلال ما عايناه اتضح أن الصومعة يحيط بقمتها 24 شكلا هندسيا يأخد شكل حزام عند نهاية شكلها المستطيل، وتحتوي على منافذ تختلف أحجامها، وتجذر الإشارة أن الصومعة شيدت من الآجور الأحمر وغياب تام للزخرفة داخل وخارج الصومعة، [27](معاينة شخصية)، أما سور المسجد شأنه شأن باقي المرافق التي شيدت منهم القصبة بتقنية (اللوح)، وإن كانت قد بنيت في العصر المريني فإنها خضعت في العصر الراهن لعدة عمليات من الإنقاذ والترميم (معاينة شخصية)

3ـــ 9 الباب: يتبين من خلال المعاينة أن باب المسجد أدخلت عليه بعض التعديلات، إذ يبلغ ارتفاعه 2،20 مترا وعرضه 1،30 متر

3ـــ 10 القبة : لا يتعلق الأمر بقبب المساجد أو الاضرحة بل ببنايتين توجدان على مقربة من مسجد القصبة، تتخدان شكلا مربعا، وتعلو كل واحدة منهما قبة ظاهرة، وقد اعتاد سكان القصبة على تسميتها بالقباب تتميز القبة بتصميم معماري فريد وبشكلها الدائري أو البيضاوي، فقد شيدت البنايتين بالتراب والحجر ويصل ارتفاعهما تقريبا حوالي أربعة أمتار وتضم الأولى (في اتجاه المسجد) بابا مفتوحا

---

[24] سمير بن الطالب، "**جوانب من التراث المعماري للقصبة المرينية في مدينة دبدو**"، دورية كان التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون، ديسمبر 2019 عدد الصفحات 186 ــ 196، ص 189 بتصرف

[25] مؤنس، حسين، المساجد، **سلسلة عالم المعرفة**، العدد 37، يناير 1981م، ص 61

[26] **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، عاصم محمد رزق، مكتبة مدبولي، ط 2000، ص 262

[27] معاينة شخصية يوم 17 غشت 2025

في الجهة الغربية للقصبة والثانية على واجهة الشرق، تقع بالقرب من الديوان وهما مزينتان ببعض الرسومات ودلالات رمزية في حاجة الى تفسير.[28]

(صورة لقبة المسجد المريني بمدينة دبدو)

خاتمة

نستطيع القول أن مدينة دبدو مدينة مهمشة في المجال السياحي، لكنها تشكل متحفا لصون وحفظ الذاكرة التاريخية والعمرانية، ذاكرة تحمل في ثناياها دروس الماضي وتطلعات المستقبل، لذلك نأمل من كل الغيورين من مسؤولين وفاعلين محليين وكذلك المجتمع المدني الى تكاثف الجهود لتزيل خطة لإنقاذ وترميم الأسوار والمعالم الأثرية لدبدو مع احترام النسق المعماري والمواد الأصلية المشيدة بها هذه البنايات، مع العمل على تأهيل البنايات الآيلة للسقوط أولا ورد الاعتبار لهويتها، فهذا النسيان الذي طالها أدرجها في المرتبة لـــ 25 ضمن المواقع المهددة عالميا في هذه السنة من طرف " صندوق الآثار العالمي" فعبق تاريخها يجمع بين العمق الأمازيغي والتأثير الأندلسي واليهودي .

[28] **القصبات، تاريخها وأدوارها، تطوراتها المعمارية**، واقع الحال وسبل الحماية، ص 94

المصادر والمراجع:

✓ باللغة العربية

- بن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، الجزء 7
- الحرادجي عبد الرحمان ، ملاحظات حول البيئة الجغرافية لكتلة دبدو، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، الوسط الطبيعي ــ التاريخ ــ الثقافة، أيام 13 ــ 14 ــ 15 مارس 1986
- الزعفراني حاييم، ألف سنة من حياة اليهود، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 1987
- الصادقي إسماعيل ، الدينامية الفلاحية بإقليم تاوريرت وانعكاساتها على البيئة والتنمية المحلية" حالة جماعة سيدي علي بلقاسم"، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، تخصص الجيوماتية وتدبير التراب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة،
- عطية عبد الله عبد الحافظالآثار والفنون الإسلامية، القاهرة 200
- القصبات، تاريخها وأدوارها، تطوراتها المعمارية، واقع الحال وسبل الحماية
- كامل عبد العزيز، أطلس الفنون الزخرفية الإسلامية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1993
- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، عاصم محمد رزق، مكتبة مدبولي، ط 200، ص 262
- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، جامعة ابن زهر، مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، 5 يناير 2011، مطابع سلا 1421ـــ 2000، ج 12، 3967
- الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983، بيروت، ج الأول
- سمير بن الطالب " تاريخ القصبات في شرق المغرب دراسة تاريخية واجتماعية وعمرانية قصبة دبدو نموذجا"، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة أصكوم القنيطرة

✓ الدوريات

- بن الطالب سمير ، "جوانب من التراث المعماري للقصبة المرينية في مدينة دبدو"، دورية كان التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون، ديسمبر 2019 عدد الصفحات 186 ــ 196، ص 189
- حسين مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، يناير 1981م
- القصبات، تاريخها وأدوارها، تطوراتها المعمارية، واقع الحال وسبل الحماية
- الشيخ سعادة، " فجر العمران الإسلامي ببلاد المغرب" ، مجلة كلية الآداب وجدة، عدد 2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1991

✓ باللغة الأجنبية

- Papadopoulo, « Sur l'esthétique de l'art musulman » in Proceeddings of the international symposium held in Istanbul, April 1983, Damascus, Dar-el-Fikr, 1989

- Kitab Aâyane al-Marhrib L'Akca: Esquisse générale des Maghrebs de la Génèse à nos jours et Livre des grands du Maroc - Edmond GOUVION -Dar AL AMAN- 2013
- Berbrugger . Adrien, " Le pégnon d'Alger, ou les origines du Gouvernement turc en Algerie ", libraire Challamel, Paris, 1860, pp
- De castrie. Henri, "Dynastie saadienne, les sources inédites de l'histoire du Maroc " , Tome 2, éd.Ernest. Leroux, Paris, 1909